

الأمن

والفاروق عمر «رضي الله عنه»



د. طه عثمان القراء

وأخذت أطراف الكلام فلم تدع
شتما يضر ولا مديحا ينفع
ومنعتني عرض البخيل فلم يخف
شمتي وأصبح أمناً لا يفزع
لقد قيل في الماضي بأن النوم لا يداعب
أجفان ثلاثة هم:

الجائع والبردان والخائف. والجدير
بالذكر أن الراصد الواعي لسيرة بن الخطاب
رضي الله عنه يجده قد وعي هذه الحقيقة
أكثر من غيره وحرص كل الحرص على أن
يؤمن لكل من هؤلاء بالذات حاجته على أساس
أنها حق مكتسب له. وتؤكد لنا قصة المرأة
وصبيتها الذين كانوا يبكون ليلاً من وطأة
الجوع والبرد والخوف من الهلاك وبالقرب
منهم قدر منصوبة على نار وليس بها سوى
ماء يغلي وقطع من حجارة صماء ليتوهم
الصغار بها بأن الطعام في طريقه إليهم. وهنا
وفي هذه اللحظة الحرجة يرسل الله سبحانه
وتعالى إليهم أمير المؤمنين عمر ومعه أحد
رفقائه لدفع معاناتهم وسد حاجاتهم وتأمين
مطالبهم.

إن عناصر هذا الثلاث البغيض تأتي في
مقدمة الأسباب التي تخل بالأمن حيث أن
الفقراء الجياع كثيراً ما يشكلون خطراً على
المجتمع وتهديداً لأمنه فيلجأون إلى السرقة
ويعبثون في الأرض فساداً ويكثرون صفو
الحياة والأمن على الأمنيين الأبرياء من
المواطنين. أما أولئك الذين لا يجدون من
الملابس والفرش والمأوى ما يدفع عنهم
لسعات البرد القارس أو لفحات الحر اللافتح
فلا تعجب إذا لم يعيروا الأنظمة والقوانين

إنجازات وابتكارات ولمسات في هذا المضمار
مثل ما كان للفاروق رضي الله عنه. كفى
رجال الأمن فخراً أن ذاك العظيم رضي الله
عنه كان أول من جاء بنظام العسس وكان
بنفسه يتفقد أحوال الرعية ليلاً. هذا النظام
لو قدر له وأن استبعد شكلاً ومضموناً من
دول هذا الزمان لأصبح كل من يعيش على
سطح كوكب الأرض غير آمن على نفسه ولا
عرضه أو ماله وعياله. نظام العسس هذا
كم أضفى على الدول وشعوبها النعم التي
لا تعد ولا تحصى وآمنهم من خوف. ومما
أعطى نظام العسس هذا أهميته بعد تدشين
الفاروق له أنه رضي الله عنه تعهد بنفسه
منذ مجيئه إلى حيز الوجود عندما كان يتفقد
أحوال الرعية ليلاً. لقد كانت هذه الميزة التي
تميز بها ذلك القائد العظيم هي دون غيرها
التي تضع الكثير من آراء وتطلعات وآلام
وآمال وأحوال الرعية بين يديه لكي يستفيد
منها في سياسة رعيته ويفيدهم من حيث لا
يعلمون. ولا عجب أن نجد أن جل ما عرفه
التاريخ عن عمر بن الخطاب من عبر وحكم
وفراسة وقصص توصل إليها عبر كل ما كان
يقوم به من أعمال يريد بها وجه الله ثم
خدمة رعيته ونشر الأمن بين ظهرائيهم.
حتى البخيل آنذاك أصبح آمناً من أن يشتمت.
ومما يذكر في هذا الأمر أن عمر بن الخطاب
رضوان الله عليه اشترى أعراض المسلمين
من الحطينة بثلاثة آلاف درهم وأخذ عليه
عهداً بأن لا يهجو أحداً منهم فقال شاعر
سليط اللسان كان يعرف باسم «الحطينة»
في ذلك:

الأمن نعمة تعني سيادتها في أي أرض
وبين ظهرائي أبناء أمة الخير العميم
للبلاد وللعباد. كما أن اضطراب أطناب الأمن
في أي من بقاع الأرض يجعلها جحيماً لا
يطاق وتطال القوم أضراره صغيراً وكبيراً.
غنياً وفقيراً، حاكماً أو محكوماً. كم من دول
كانت ذات صولة وصولجان دالت، وشعوب
بادت، وأعزاء قوم ذلوا، وقادة هزموا، ومدن
دمرت، وأموال بددت، ونفوس أزهقت بغير
وجه حق. نتيجة لافتقار القوم للمقومات
الأساسية للأمن والتي من أهمها القيادة
المخلصون ورجال الأمن الأكفاء الواعون
العاملون. إن كتب التاريخ تعج بالإسهامات
الجليلة والإنجازات الأمنية العظيمة التي
جاءت على أيدي قادة ورجال أمن أقدان
ومفكرين مسلمين أجلاء أفادت أبناء ملتهم
وذاع صيتها عبر الأفاق وتبناها غيرهم
فاستفادوا وأفادوا بغض النظر عن الزمان
والمكان. وكان من أهم أولئك القادة ابن
الخطاب رضي الله عنه.

إن مقولة رسول كسرى ملك الفرس بشأن
الخليفة عمر رضي الله عنه والتي مفادها:
«حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر» قد
احتفظت بسحرها - وسجلها في التاريخ
بأحرف من نور لتكون هادياً ودليلاً لكل قائد
يريد أن يسلك درب الخالدين. صحيح أن
الكثير من القادة والمصلحين عرفوا قيمة الأمن
وبذلوا كل ما في وسعهم في تثبيت دعائم
أطنابه وكرسوا الكثير من أوقاتهم وجهودهم
من أجل تحقيقه لأنفسهم وليني جلدتهم
ولكنهم على الرغم من ذلك لم تكن لهم



د. حسن محمد عبه جي *

أعلام تاريخية

ابن النفيس

إمام في الطب والعلوم الدينية

والإجراءات الأمنية، إذ لم يتقوا الله في أنفسهم، فيؤذوا الأمتين ويعبتوا باركان الأمن. ناهيك عن الخائف وما يجول في خاطره من أفكار للدفاع عن نفسه ساعة الخطر أبسطها الانسحاب إلى الأمام حيث ينقض على كل من يباغته ويعرض حياته للخطر غير عابئ بأي من دواعي الأمن ودوافعه وأهدافه.

ومما يذكر في هذا المساق عن عمر رضي الله عنه أنه كان يحرص على انتقاء الولاة من خيرة الناس على أساس أن يتمكن من وضع الرجل المناسب في المكان المناسب حرصاً منه على سيادة الأمن وحرمة القانون وسلامة الرعية. وفي ذات يوم خرج رضي الله عنه من المدينة مصاحباً لأحد هؤلاء الولاة ليقضي معه بعض الوقت ثم يعود من حيث أتى. فعل الفاروق ذلك لكي يطمئن إلى قدرة الوالي وكفاءته ومقدار ما في حوزته من دراية وعلم بالأمور الأمنية كما تراها الشريعة الإسلامية السمحة، ودار بينهما الحوار التالي:

الفاروق: ماذا أنت فاعل بسارق أو ناهب أتاك به عسسك؟

الوالي: أقطع يا أمير المؤمنين يده.

الفاروق: وإذا أتاني جائع منهم أو عارٍ قطع عمر يدك!!!

يا هذا إن الله قد خلق الأيدي لتعمل فإذا لم تجد في الطاعة عملاً التمسست في المعصية أعمالاً فأملاها بالطاعة قبل أن تملأ بالمعصية.. هكذا كان عمر بن الخطاب رجل الأمن الأول في زمانه على كل المستويات المحلية منها والإقليمية والعالمية على حد سواء. وسوف تبقى إنجازاته وإسهاماته وإصلاحاته في شتى الميادين بوجه عام وفي دنيا الأمن بوجه خاص دليلاً وهدياً لكل مصلح وقائد ورجل دولة وأمن وغيرهم ممن يخافون الله ويحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبهم رب العزة.

* أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية

شاع مؤخراً على السنة الناس حتى عند بعض المثقفين تقسيم العلوم إلى علوم دينية وعلوم دنيوية: وهذا التقسيم إن كان من باب تصنيف العلوم وترتيبها فلا غضاضة، وقد درجت المؤسسات التعليمية عليه وهذا تقسيم اصطلاحى ولا مشاحة في الاصطلاح.

أما إذا أراد قائله التفريق بين العلوم وفصل علوم الدنيا عن غيرها فله نقول: لم يكن هذا التفريق معروفاً عند علماء الإسلام فقد كانوا يعتبرون كل علم ينور العقول والبصائر ويعود بالنفع على الإنسانية سواء أكان هذا النفع دنيوياً أو أخروياً هو علم ديني مطلوب شرعاً حث الإسلام عليه ورغب فيه.

بل إن الإسلام رمى إلى أبعد من هذا وذاك حينما يؤتم الأمة الإسلامية بأكملها إذا هي قصرت في طلب ما يكسبها الرفعة والتقدم والسؤدد وهذا لا يتحقق لها إلا بالتسلح بشتى ضروب العلم وفروعه.

ولسنا بصدد سرد الأدلة على أن الإسلام هو دين العلم وحسبنا في هذا أن الله تعالى لم يأمر نبيه محمداً ﷺ بالازدياد من شيء في هذا الحياة إلا من العلم فقال تعالى ﴿وقل رب زدني علماً﴾.

ولقد شارك علماء الإسلام في كل فن، وبحثوا في كل علم وبلغوا في منازل العلم المعرفة مراتب عالية لم يبلغ شأوها بل لم يدانيها أحد، حتى صاروا محط الرجال ومضرب الأمثال.

و(ابن النفيس) واحد من الذين شاركوا في مجالات علمية متنوعة وجمعوا أنواعاً كثيرة من العلوم فكان هو وأمثاله من علمائنا المتقدمين دليلاً صادقاً على ما ذكرنا ومثالاً يحتذى، به كل من يسعى لرفعة دينه وكرامة أمنه.

فمن هو ابن النفيس؟

هو أبو الحسن علاء الدين علي بن أبي الحزم القرشي نسبة إلى بلدة قرش، من بلاد ما وراء النهر، المولود في عام ٦١٠ بدمشق والمتوفى في الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة ٦٨٧ بالقاهرة رحمه الله تعالى.